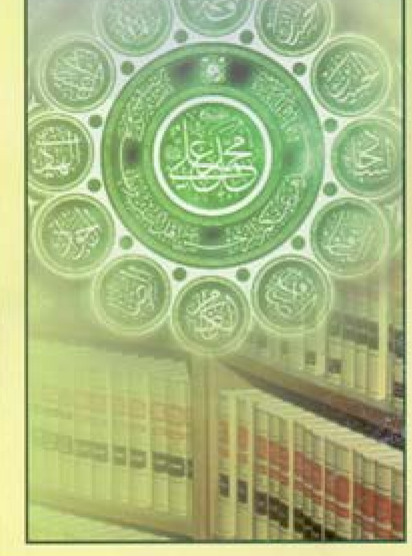


حديث الخلفاء الاثني عشر
في كتب أهل السنة



تأليف
الشيخ قيصر التميمي

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

حديث الخلفاء الاثني عشر

في كتب أهل السنة



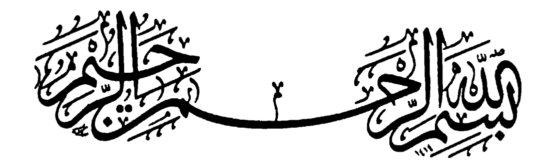
تأليف

الشيخ قيصر التميمي



www.annajat.us
info@annajat.us
مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم



www.annajat.us
info@annajat.us

هويّة الكتاب

اسم الكتاب: .... حديث الخلفاء الإثني عشر في كتب أهل السنّة

تأليف: .... الشيخ قيصر التميمي

تصحيح وتقويم: ..... مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلاميّة / السيّد ميثم الخطيب

الصف والإخراج الفني: .. مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلاميّة / محسن الجابري

الناشر: .... مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلاميّة

الطبعة: .... الأولى / ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

حديث الخلفاء الاثنا عشر في كتب اهل السنّة

الشيخ قيصر التميمي

منشورات الإجتهاد

الطبعة الاولى / ٣٠٠٠

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

ISBN :978-964-2941-01-8

الإهداء

إلى أئمة المسلمين وهداة الخلق.

إلى الخلفاء الاثني عشر الذين جعلهم الله قائمين على هذا الدين بعد النبي.

اهدي هذه البضاعة المزجاة، راجياً من الله تعالى ان يجعلني من المشمولين بشفاعتهم، إنّه سميع مجيب.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كلمة المؤسسة

منذ بدء الخليقة كان الكون والإنسان ساحة لصراع الخير والشر والحق والباطل والنور والظلمة، وكان لكل منهما صولات وجولات هنا وهناك وعلى امتداد تاريخ البشرية، ولكنه كانت هناك سنن إلهية تحكم هذا الصراع وتتحكم في وجهته ونتائجه، ومن هذه السنن أن الحق والحقيقة مهما حجبتها غيوم الشر، وزحفت نحوها قوافل الظلمة، فإن نورها لا يمكن أن يخبو تماماً وتنطفئ شعلته بين ركام الباطل وظلمة الشر مهما كانت حالكة، ولذا قال رسول الله ﷺ: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً»[1].

وهذه السنة الإلهية يمكن ملاحظتها في مواطن الصراع والخلاف بين جهتين إحداهما محقّة والأخرى مبطلة، فصاحب الحق يتمكن أن يثبت أحقيته ومصداقيته من خلال أمور وشواخص لا يمكن أن يخفيها الطرف الآخر؛ لأنّ نور الحقيقة يسطع منها وتدخل ضمن نطاق السنة الإلهية المحكمة في هذا الكون.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص٥٤.

ولعل من أبرز شواهد هذا الأمر هو الصراع والخلاف الواقع بين طوائف المسلمين، فمدرسة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، عبر تاريخهم في الصراع مع مخالفيهم استطاعوا وفي كثير من الأحيان أن يثبتوا صدق متبنياتهم من خلال كتب وصحاح القوم، ومن أهم تلك إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فحديث الاثني عشر خليفة أو أميراً قد ورد في أصح كتب المسلمين وبطرق وأسانيد متعددة، ولكن حاول البعض ممن أراد أن يحجب وجه الشمس بغربال أن يشكّك في هذه الحقيقة ويتكلف لها التأويلات البعيدة عن المنطق والذوق السليم.

من هنا كانت مبادرة مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية صريحة وواضحة في إبراز هذه الحقيقة ونفض غبار الشك والريب عنها، فبادر أحد محققي مؤسستنا البارزين وهو سماحة الشيخ الفاضل قيصر التميمي في وضع هذه الدراسة الموضوعية القيمة عن حديث الاثني عشر في كتب القوم وبيان طرقه وأسانيده الكثيرة وإعطاء التفسيرات الواقعية لهذا الحديث الذي تم التلاعب كثيراً في متنه ودلالته، مع بيان أوجه الضعف والوهن في التفسيرات والتوضيحات المقدمة في شرح هذا الحديث، والذي تبيّن من خلال الدراسة أنّه لا يوجد تفسير واقعي وحقيقي

له إلا أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وتأتي هذه الدراسة أيضاً ضمن سلسلة أبحاث عقائدية ستقدمها مؤسستنا عبر لجنة البحوث والإجابة عن الشبهات في المؤسسة والتي ستأخذ طريقها إلى النشر تباعاً، راجين من المولى العلي القدير أن يتقبل هذا القليل ويعفوا عن الكثير إنه نعم المولى ونعم النصير.

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

٢٥ / ٥ / ١٣٨٥ ش


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

لقد احتلّت مسألة تولّي الخلافة والقيادة بعد رسول الله ﷺ مجالاً واسعاً وحيّزاً كبيراً في الفكر والواقع الإسلامي، حيث كشفت سقيفة بني ساعدة عن الطموحات الواسعة لجملة من صحابة رسول الله ﷺ في تولّي ذلك المنصب، كما كشفت أيضاً عن طبيعة الصراع الشديد الذي تجاذب أطرافه المجتمعين من الصحابة آنذاك.

وانبثق عن ذلك الاجتماع قيادات لحكومة سياسية مفاجئة، اعترض عليها زعماء الأنصار وأتباعهم، كما غاب عنها كبار الصحابة من المهاجرين، وفي مقدمتهم أمير المؤمنبن علي بن أبي طالب عليه السلام.

واستطاعت تلك القيادات الحكومية بتدبير مسبق بينها أن تكسب الموقف، وتخلق رأياً عاماً لصالحها، وتجبر الرافضين على السكوت عن إعلان المعارضة لها.

وحيث إنَّ النظرية السنية آمنت بمبدأ الإهمال، وأنَّ رسول الله ﷺ أهمل مسألة الخلافة، ولم يضع مخططاً واضحاً لقيادة الأمة بعد وفاته، كان من الطبيعي أن تكتسب الخلافة شرعيتها في الذهنية السنيّة مما انبثق عن السقيفة من حكومة.

وأما النظرية الشيعية في مسألة الخلافة، فهي قائمة على مبدأ التخطيط الإلهي المسبق لقيادة الأمة بعد وفاة نبيِّها، ورفض فكرة الإهمال في مسألة مصيرية في حياة الأمة، وهي الخلافة.

وإذا كانت النظرية الشيعية قائمة على فكرة التخطيط المسبق لمسألة الخلافة، فأين معالم ذلك التخطيط في التراث الإسلامي؟

وفي مقام الجواب عن هذا التساؤل نقول:

إنَّ القرآن الكريم والسنة النبويّة حافلان بالبيانات التفصيليّة لرسم معالم الحكومة والخلافة الإلهية بعد النبي الأكرمﷺ، ولا نريد الخوض في كل ما ورد في هذا المجال لأنَّ هذا يجرنا إلى مبحث الإمامة، ولكن نريد التوقف قليلاً عند أحد جوانب السنة النبوية المباركة، وهو ما تضمنته من تأكيد على فكرة الاثني عشر خليفة الذين يقومون بالأمر بعد النبيﷺ وتكون عزة الإسلام باتّباعهم والتمسك بهم.

والكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - محاولة جادّة لاستعراض أهم الروايات الشريفة التي تضمنت مبدأ خلافة الاثني عشر خليفة من المصادر السنية المعتبرة، والوقوف على أهم التفسيرات والتوجيهات التي أبداها أعلام أهل السنة حول تلك الأحاديث مع تقييم تلك التفسيرات.

ومن ثم ننتقل إلى بيان التفسير الواقعي لتلك الأحاديث، مدعوماً بالشواهد الواضحة والحقائق الناصعة.

فنرجو أن نكون قد وفّقنا لإبراز جانب من جوانب الخلافة الإلهية بعد رسول الله ﷺ من خلال ما جاء في السنة النبوية الشريفة.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر والامتنان لكلّ من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، وأخصّ بالذكر منهم سماحة الشيخ علي الشطري وسماحة الشيخ شاكر الساعدي على ما بذلوه من جهد مشكور.

المؤلف

الشيخ قيصر التميمي



حديث الخلفاء الاثني عشر في كتب أهل السنة

تمهيد

قد يتنكّر البعض لجملة من مبادئه التي أسّسها، وصحّحها، واعتمد عليها إذا وجدها تصبّ في مصلحة من يخالفه الرأي.

وهذا ما نلمسه في حديث عثمان الخميس وأمثاله في حوارهم على قناة المستقلة، عندما أنكروا! حديث الأثني عشر خليفة الذي تثبته الصحاح المعتبرة التي اعتمدوا عليها وجعلوها أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وذلك عندما وجدوه يسجّل رقماً إيجابياً في إثبات حقّانية المذهب الشيعي.

حيث حاولوا أن يشكّكوا في فكرة الإثني عشر خليفة، قائلين: إن فكرة الاثني عشر التي يدعيها الشيعة الإمامية، فكرة يهودية تعود إلى زعيم يهودي قديم ورد في كتاب دانيال، وإن دعوى وجودها في صحيح البخاري، كذب !!.

وإن حديث الخلفاء الاثني عشر الموجود في صحيح مسلم يتكلم عن أن الإسلام يبقى عزيزاً منيعاً في عهدهم، وأن هؤلاء الأئمة تجتمع عليهم الأمّة، كما في سنن أبي داود، وكل هذه الصفات لا تنطبق على أئمّة الشيعة !!"[1].

---

(١) هذه العبارة مقتبسة من كلام لعثمان الخميس على قناة المستقلة.

ولا يخفى على القارئ ما في تكذيبهم هذا للحديث من إنكار لحقيقة مهمّة من حقائق الإسلام، التي اتفق عليها المسلمون جميعاً، فلو أجرينا مسحاً ميدانياً يسيراً للكتب الحديثية المعتبرة عند أهل السنة، لوجدناها مشحونة بالروايات الصحيحة والصريحة التي نصّت على الاثني عشر خليفة بعد رسول الله ﷺ، بمواصفاتهم وخصوصياتهم.

حديث الاثني عشر في كتب أهل السنة:

وإليك فيما يلي جملة من المصادر التي نقلت هذه الحقيقة، المتسالم عليها عند أعلام السنة:

١- أخرج البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم بسندهم، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلّهم من قريش»[١].

قال البغوي: هذا حديث متفق على صحته[٢].

٢- وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام: باب ٥١، ج ٤ ص ٣٧٥ ح ٧٢٢٢ - ٧٢٢٣؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٨٧ ص ٩٠ ص ٩٦؛ دلائل النبوة، البيهقي: ج ٦ ص ٥١٩.

(٢) شرح السنة، البغوي: ج ١٠ ص ٤٢٢ ح ٤١٣٢.

عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»[1].

٣- وأخرج مسلم أيضاً، وأحمد ـ واللفظ للأول ـ عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلّم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: كلّهم من قريش»[2].

٤- وأخرج مسلم أيضاً، وأحمد، والطيالسي، وابن حبان، والخطيب التبريزي، وغيرهم، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش»[3].

٥- وأخرج مسلم ـ واللفظ له ـ وأحمد، وابن حبان، عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي فسمعته

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٢؛ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش؛ وقد نقل مسلم هذا الحديث بتسعة طرق.

(٢) المصدر نفسه: وكذا مسند أحمد: ج٥ ص٩٨ ص١٠١؛ قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ق٢ ص٧١٩: «وهذا إسناد صحيح على شرطهما».

(٣) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش؛ ومسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٩٠ ص١٠٠؛ مسند أبي داود الطيالسي: ص١٠٥ ص١٨٠؛ مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي: ج٣ ص١٦٨٧؛ وقال التبريزي: «متفق عليه»؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٤٤.

يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزا منيعاً إلى اثني عشر خليفة، فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»[(١)].

٦- وأخرج مسلم ـ واللفظ له أيضاً ـ وأحمد، عن جابر بن سمرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[(٢)].

٧- وأخرج الترمذي، وأحمد، عن جابر بن سمرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني، فقال: قال: كلّهم من قريش»[(٣)].

٨- وأخرج أبو داود حديث الخلفاء الاثني عشر بطريقين صحيحين[(٤)]، قال في أحدهما: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: فكبّر الناس

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٩٨ ص١٠١؛ وفي ص٩٦ قال: «عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه ولا يضره من فارقه أو خالفه»؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٤٤.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٨٨ ص٨٩؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج١ ق٢ ص٧٢٠.

(٣) سنن الترمذي: ج٣ ص٣٤٠؛ قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٩٢ ص٩٤ ص٩٩ ص١٠٨.

(٤) صححهما الألباني في صحيح سنن أبي داود: ج٣ ص١٩ ح ٤٢٨٠.

وضجوا، ثم قال كلمة خفيّة، قلت لأبي، يا أبه ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»[١].

٩- وأخرج أحمد، وأبو نعيم، والبغوي عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[٢].

١٠- وأخرج أحمد بن حنبل في المسند ـ واللفظ له ـ والحاكم النيسابوري في المستدرك، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، لا يضره مخالف، ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً كلهم، ثم خفي من قول رسول الله ﷺ... قال: يقول: كلّهم من قريش»[٣].

١١- وأخرج أبو عوانة أيضاً في مسنده، عن جابر بن سمرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيفاً لا يضره من ناوأه حتى تقوم الساعة إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش»[٤].

---

(١) سنن أبي داود: ج٤ ص٨٦؛ كتاب المهدي وفيه: «ثم لغط القوم وتكلّموا» وفي نفس الصفحة «فجعل الناس يقومون ويقعدون».

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج١٥ ص٩٢ ؛ حلية الأولياء: ج٤ ص٣٣٣؛ شرح السنة، البغوي: ج٧ ص٤٢٢ ح٤١٣١؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٤٣؛ قال البغوي: «هذا حديث صحيح».

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٨٧-٨٨ ؛ المستدرك: ج٣ ص٦١٨.

(٤) مسند أبي عوانة: ج٤ ص٣٦٩ ح٦٩٧٦.

١٢- وأخرج ابن حجر والقسطلاني والخطيب البغدادي قول رسول الله ﷺ: «لا تهلك هذه الأمة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»(١).

١٣- وأخرج أحمد، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني في المعجم الأوسط، والكبير، أن النبي ﷺ قال: «لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة...»(٢).

١٤- وأخرج أحمد في مسنده، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في المطالب العالية، والبوصيري في مختصر الإتحاف، عن مسروق، قال: «أما سألت النبي ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ قال: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك [ثم] قال: نعم ولقد سألناها، فقال: اثنى عشر كعدة نقباء بني اسرائيل»(٣).

---

(١) فتح الباري: ج١٣ ص١٨٤؛ تاريخ بغداد: ج٤ ص٢٥٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٦١٨؛ مسند أحمد: ج٥ ص٩٧ ص١٠٧؛ مجمع الزوائد: ج٥ ص ١٩٠؛ قال الهيثمي: «رجال الطبراني رجال الصحيح»، ورواه عن جابر في ص١٩١ وقال: «رجاله ثقات».

(٣) مختصر الاتحاف، البوصيري: ج٦ ص٤٣٦ ح٤٩٣٣؛ وكذا انظر مسند أحمد، ج١ ص٣٩٨؛ المستدرك، ج٤ ص٥٠١؛ المطالب العالية: ج٥ ص٤٦؛ مجمع الزوائد: ج٥ ص١٩٠؛ وهذا حديث حسنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ج١٣ ص٨٣؛ وابن حجر الهيثمي في تطهير الجنان واللسان (ضمن الصواعق المحرقة): ص١٩، ونقله السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص١٥.

هذا فضلاً عما ورد من الأحاديث الكثيرة والمتواترة عن الرسول الأكرمﷺ من طرق أهل البيت عليهم السلام حول الخلفاء الاثني عشر، إلا أن ما تقدم يكفي لإثبات المطلوب.

وعلى ضوء ما سلف يتّضح أن حديث الاثني عشر خليفة حقيقة إسلامية صادرة عن الرسول الأكرمﷺ، مسلّمة لا غبار عليها، فلا مجال لما يقال من أنها فكرة يهودية أخذها الشيعة من كتاب دانيال!.

ولعل المستشكل لم يكن مطلعاً على الشخص الذي رجع إلى كتب اليهود وأخذ منها، بعد عجزه عن تفسير حديث الاثني عشر، كما نقل ذلك ابن حجر العسقلاني، عن أبي الحسين ابن المنادي، حيث قال: «قال أبو الحسين ابن المنادي، في الجزء الذي جمعه في المهدي: (يحتمل في معنى حديث (يكون اثنا عشر خليفة) أن يكون هذا بعد المهدي، الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال، إذا مات المهدي....»[1].

ومن هنا لا نجد مجالاً لإنكار هذه الروايات المتواترة، ولذا التجأ العلماء من الفريقين إلى تفسيرها دون تكذيبها.

---

(١) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٤.

من هم الخلفاء الاثنا عشر؟

بعد أن اتفق المسلمون على هذه الحقيقة التي كشف النقاب عنها رسول الله ﷺ، وأن الخلفاء من بعده اثنا عشر خليفة، نجد أن الكثير من محدثي ومفسري أهل السنة واجهوا إشكالية صعبة في تعيين الخلفاء الاثني عشر؛ لأنهم من جهة إن أخذوا بظواهر النصوص - الواردة في الخلفاء الاثني عشر- فإن ذلك يتناقض، ويتنافى مع ما تسالموا عليه في مسألة الخلافة لديهم، ولما رووه صحيحاً عن رسول الله ﷺ أن الخلافة من بعده ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً عضوضاً، ومن جهة أُخرى إنّ رفض هذه النصوص لا تسمح به القوة السَنَدية التي تملكها، وعلى هذا الأساس تباينت الآراء وتناقضت التفاسير حول هذه الحقيقة وتضاربت التصريحات والردود بعضها مع البعض الآخر، فتجدهم تارة يعبرون بـ (وقع لي فيه شيء) أو (قيل) أو (الذي يغلب على الظن)، أو (والله أعلم بمراد نبيه)، وإكثارهم من قول (والله أعلم) بين الحين والآخر، مما يكشف عن تخبطهم، وحيرتهم في تفسير حديث الخلفاء تفسيراً واقعياً صحيحاً، وإليك أبرز تلك المحاولات التفسيرية:

محاولات أهل السنة في تفسير حديث الخلفاء

التفسير الأول: لابن العربي

قال: «فعددنا بعد رسول الله ﷺ اثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والحسن ومعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد، ومروان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد بن مروان والسفاح...» إلى أن قال: «وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان، وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى!!»[1].

التفسير الثاني: لابن المهلب

قال: «لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث ـ يعني بشيء معين ـ فقوم قالوا يكونون بتوالي إمرتهم، وقوم قالوا يكونون في زمن واحد كلهم يدعي الإمارة، قال: والذي يغلب على الظن أنه (عليه الصلاة والسلام) أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن، حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً، قال: ولو أراد غير هذا لقال يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلما أعراهم من الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن

(١) شرح صحيح الترمذي، ابن العربي: ج٩ ص٦٨.

واحد»، وعلق ابن حجر على ذلك بقوله: «وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري هكذا مختصرة»[(١)].

التفسير الثالث: للسيوطي

قال فيها: «فقد وجد من الاثني عشر خليفة: الخلفاء الأربعة، والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهتدي من العباسيين؛ لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي؛ لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله»[(٢)].

وقد علّق عليه الأستاذ أبو ريّة بقوله: «ولم يبين المنتظر الثاني!! ورحم الله من قال في السيوطي: إنه حاطب ليل»[(٣)].

التفسير الرابع: لأبي الحسين ابن المنادي

قال في الجزء الذي جمعه في المهدي: «يحتمل في معنى حديث (يكون اثنا عشر خليفة) أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: ص١٦.

(٣) أضواء على السنة المحمدية، أبو ريّة: ص٢٣٥.

الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد سبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده، فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهدي»[1]، وقد ردّه ابن حجر بقوله: «والوجه الذي ذكره ابن المنادي ليس بواضح»[2].

التفسير الخامس: للقاضي عياض

قال النووي: «وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه وليَ أكثر من هذا العدد؟، قال: وهذا اعتراض باطل؛ لأنه (صلى الله عليه وسلم) لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر خليفة، وإنما قال: يلي، وقد ولي هذا العدد، ولا يضر كونه وجد بعدهم غيرهم...، ويحتمل أوجهاً أُخر، والله أعلم بمراد نبيه»[3].

التفسير السادس: لابن الجوزي

حيث قال في كشف المشكل: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانّه، وسألت عنه فلم أقع على المقصود به؛ لأن

---

(١) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠١ - ٢٠٣.

ألفاظه مختلفة، ولا أشك أنّ التخليط فيها من الرواة، ثم وقع لي فيه شيء...»[١].

ثم اختار قولاً آخر، وهو أن الحديث إشارة إلى عدد الخلفاء من بني أمية قال: «وأوّل بني أميّة يزيد بن معاوية، وآخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية، ولا ابن الزبير؛ لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم - للاختلاف في صحبته، أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير- صحّت العدّة»[٢].

وقال ابن حجر في معرض تعليقه على كلام ابن الجوزي: «وأمّا محاولة ابن الجوزي... ظاهر التكلف»[٣].

التفسير السابع: للبيهقي

قال فيها: «وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة، ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور، إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه»[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٣.
(٢) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٣.
(٣) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٥.
(٤) نقله عن البيهقي ابن كثير في البداية والنهاية: ج٦ ص٢٧٩.

وردّه ابن كثير بقوله: «فهذا الذي سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعة، من أنّ المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، الذي قدّمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلك فيه نظر... وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر، قبل عمر بن عبد العزيز، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدّوه من الخلفاء الراشدين»[1].

وفي نهاية المطاف يتضح تعثر المحاولات التي تحركت في إنجاز هدفها، وأنتجت تفسيرات تختزل في داخلها التكلّف والحيرة والارتباك.

التفسير الواقعي لحديث الاثني عشر

أمّا الشيعة الإمامية، فلم يحتاجوا إلى مزيد بحث، وعناء، في تفسير أحاديث الخلفاء الاثني عشر، وأنهم العترة الطاهرة، المتمثلة في أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح، لا سيما بملاحظة الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما تضمنته من روح

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٦ ص٢٧٩ - ٢٨٠.

استدلالية لا تقبل الترديد في إثبات المطلوب.

وقبل أن نلج في البحث، لابد من تقديم نقطة منهجية تساهم في بناء إطار واضح ومحدد للموضوع وتحول دون الوقوع في الاشتباه.

وهي أننا يتوجب علينا أن نلقي الضوء على تلك الروايات الواردة في الخلفاء الاثني عشر؛ لنبصر ما تضمنته تلك الروايات من خصائص ومواصفات ومميزات للخلفاء الاثني عشر، حيث نجد في بعضها التعبير بأن (عزةّ الإسلام ونصرته تكون بهم)، وأن (بقاء الدين إلى قيام الساعة بهم)، وأن (وجودهم مستمر إلى آخر الدهر)، وأن (قيام الدين إلى قيام الساعة بهم)، وأنهم (القيمين على الدين)، و (إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها)، وأن (صلاح أمر الأمة والناس بهم)، وأنهم (كلهم يعمل بالهدى ودين الحق)، وأنهم (كلهم من قريش)، وأنهم (لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا عداوة من عاداهم)، وأنهم (كعدة نقباء بني إسرائيل)، والأهم من ذلك كله تحديدهم بعدد (اثني عشر) بلا زيادة أو نقصان.

وبملاحظة هذه الامتيازات، والخصوصيات، التي يتصف بها الخلفاء الاثنا عشر، لا يتردد أحد في صدقها، وانطباقها على أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولكي تكون الإجابة واضحة لا تحتمل اللبس، والإيهام، نشير إلى عدّة قرائن وشواهد، نلمس من خلالها جوهر وحقيقة الأحاديث، وتفسيرها تفسيراً واقعياً، وإليك جملة من تلك الشواهد والقرائن التي توجب القطع واليقين بأن المراد بالخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت عليهم السلام:

جملة من الشواهد على التفسير الواقعي:

الشاهد الأول: توالي الخلفاء في عمود الزمان

إذا أنعمت النظر في بعض الخصائص والمميزات التي تضمنتها نصوص الاثني عشر خليفة، من قيام الدين بهم، وقيموميتهم على الدين فهم «اثنا عشر قيماً من قريش، لا يضرهم من خذلهم، ولا عداوة من عاداهم»[(١)]، «لا يزال الدين قائماً»[(٢)]، وكونهم «أمان لأهل الأرض»[(٣)]، «أمان لأمتي»[(٤)]، «فإذا هلكوا ماجت الأرض

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦، وفي ص٢٥٦ نقل فيها عبارة «لا يضرهم عداوة من عاداهم»؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٣ ص٢٠١، نقل فيه عبارة «لا يضرهم من خذلهم»؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي: ج٥ ص١٩١ وذكر «أن رجاله ثقات» ونقل فيه عبارة «عداوة من عاداهم»؛ الحد الفاصل، الرامهرمزي: ص٤٩٤.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٨٦ ص٨٨ ص٨٩؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٢ ص٦٥٤ ح٩٦٤.

(٣) المستدرك: ج٣ ص١٤٩؛ وقال فيه «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وغير ذلك من المصادر.

(٤) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري: ص١٧.

بأهلها»[١]، لاسيما إذا ضممنا إليها ما ورد عن رسول الله ﷺ صحيحاً ومتواتراً، أن «الأرض لا تخلو من حجة»[٢]، وكذا «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»[٣]، وقول رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»[٤]، يتجلى لنا أنها تسجل بمجموعها معنى مشتركاً فيما بينها، وهو أن هذه الخصوصيات لا يمكن أن تتحقق إلاّ إذا كان أولئك الخلفاء الاثنا عشر على شكل سلسلة واحدة متكاملة ومتناسقة ومتوالية زماناً، وهذا لا ينسجم ولا ينطبق إلاّ على العترة الطاهرة عليهم السلام، على العكس من تفاسير علماء السنة المتقدمة، التي تطغى عليها حالة من التشويش والتكلّف وعدم التناسق، والتواصل فيما بينها.

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦ ح١٧٩٤؛ كنز العمال: ج١٢ ص٣٤ ح٣٣٨٦١.

(٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥؛ انظر: المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦؛ وانظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ انظر: ينابيع المودة: ج١ ص٨٩

(٣) صحيح ابن حبان: ج١٠ ص٤٣٤، انظر: مسند أحمد: ج٣ ص٤٤٦؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج١٩ ص٣٨٨؛ سنن البيهقي: ج٨ ص١٥٦؛ المعيار والموازنة: ص٢٤؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٦ ص٧٠؛ مجمع الزوائد: ج٥ ص٢١٨ ص٢٢٤ ج٩: ص١١١ ص١٢١؛ مسند الطيالسي: ص٢٥٩؛ مسند أبي يعلى: ج١٣ ص٣٦٦ ح٧٣٧٥.

(٤) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٢ ح١٨٢٠؛ مسند أحمد: ج٢ ص٢٩ ص٩٣؛ السنن الكبرى: البيهقي: ج٣ ص١٢١؛ فتح الباري: ج١٣ ص١٠٤؛ الجامع الصغير: ج٢ ص٧٥٦ ح٩٩٦٩؛ وغيرها من المصادر الأخرى.

الشاهد الثاني: بقاء الخلفاء إلى قيام الساعة

من الخصوصيات الأخرى التي سجّلتها روايات الاثني عشر إلى جانب الخصوصية الأولى، هي صفة (بقاؤهم ما بقي الدين، حتى تقوم الساعة)، وهذه الحقيقة لا تتجسد إلاّ في أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أوضح ما يثبت ذلك:

أـ حديث الثقلين «إنّي تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض؛ فانظروا كيف تخلّفوني فيهما»[1] والنفي التأبيدي للافتراق بين الكتاب والعترة الطاهرة لا يتحقق إلاّ بديمومة أهل البيت عليهم السلام، وبقائهم ما بقي القرآن والدين، وإلاّ فلو فرض افتقاد أهل البيت عليهم السلام في فترة معينة، يلزم من ذلك افتراق القرآن عن العترة، وهو ينافي حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

بـ الاعتقاد بوجود الإمام الثاني عشر، وأنه الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وأنه من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه حي يرزق - كما هو

---

(١) أخرج الحديث مسلم في صحيحه: ج٤ ص١٨٧٣ ح٢٤٠٨؛ والترمذي في سننه: ج٥ ص٣٢٨، ٣٢٩؛ وأحمد في مسنده: ج٣ ص٥٩؛ وغيرها من المصادر العديدة جداً، والحديث متفق على صحته بين الفريقين، بل إن له طرقاً عديدة جداً تصل إلى حد التواتر.

معتقد الشيعة الإمامية - يسجل التقاءً جلياً مع مضمون روايات الخلفاء الاثني عشر في خصوصية كون بقائهم ما بقي الدين إلى قيام الساعة، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأحاديث السابقة الذكر: «لا تخلو الأرض من حجة»، و«من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية».

الشاهد الثالث: الخلفاء كنقباء بني إسرائيل

إن تشبيه الرسول الأكرمﷺ الخلفاء الاثني عشر من بعده بنقباء بني إسرائيل، وحواريي عيسى - كما تقدم - يدل على كون الخلفاء أوصياء منصبين بتعيين خاص، كما هو الحال بالنسبة لنقباء موسى وحواريي عيسىعليه السلام، وهذا التنصيب والتعيين يفرضه عظم وحجم المسؤولية الملقاة على عاتق النقيب، بحسب تعبير الآية؛ لأن النقيب هو الأمين والرئيس الكبير، المقدّم على القوم، الذي يتعرّف أخبارهم، وينقّب عن أحوالهم، ويعرف مناقبهم، ودخيلة أمرهم، ويدبّر مصالحهم، وقد أخرج السيوطي في تفسيره عن ابن جرير بن الربيع: «قال: النقباء، الأمناء»[1]، ونقل الفخر الرازي في ذيل آية ﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: «إن النقيب هاهنا فعيل

---

(١) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج٣ ص٤٠.

بمعنى مفعول، يعني اختارهم على علم بهم، قال الأصم: هم المنظور إليهم، والمسند إليهم أمور القوم وتدبير مصالحهم»[1].

كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اثنا عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، لا يضرهم من خذلهم»[2]، وهذا هو الدور الذي أُنيط بأهل البيت عليهم السلام، كما روي عن عمر، أن النبي ﷺ قال: «في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا من توفدون»[3].

وعلى هذا الأساس يثبت لأوصياء وخلفاء نبينا ﷺ ما ثبت لأوصياء موسى وعيسى عليهما السلام من التنصيب والتعيين الخاص، وهو ما لم يثبت لغير أهل البيت عليهم السلام.

الشاهد الرابع: المؤهلات والخصائص الاستثنائية

إن المؤهلات والخصائص الاستثنائية، التي يمتلكها أهل البيت عليهم السلام، والتي يفرضها واقعهم وسيرتهم العملية بين المسلمين

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٦ ص١٨٨-١٨٩.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦، ٢٥٦؛ المعجم الأوسط: ج٣ ص٢٠١؛ انظر: فتح الباري: ج١٣ ص١٨٤.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٢٣١؛ انظر: ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ انظر: ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١١٤.

بإجماع أهل العلم، وعلى جميع المستويات الفكرية، والإيمانية والروحية والنفسية والرسالية وغيرها، تحتم على الباحث المنصف تفسير الحديث بهم، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: النصوص القرآنية كآية المودة، وآية هل أتى، وآية التطهير والاصطفاء وغيرها، وكذلك الأحاديث النبوية، من حديث الثقلين، وحديث السفينة، وحديث الكساء، وغيرها.

ثانيا: الواقع التاريخي الذي برهن وبكل وضوح وصدق على عمق تجسيدهم عليهم السلام للمفاهيم الإسلامية والرسالية، وعمق تحمّلهم لأدوارهم، وقيامهم بالمسؤوليات التي أُوكلت لهم، فإن كل الدراسات التي عنيت بتدوين ودراسة التاريخ تؤكّد حقيقة التميّز في شخصياتهم، ومؤهلاتهم العلمية والقيادية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، لا سيما إذا أبصرنا تلك التصريحات الصادرة من رجاليين ومؤرخين وباحثين ممن عاصروا الأئمة عليهم السلام، وممن لم يعاصروهم، فقد أجمعت هذه الكلمات على الاعتراف لأهل البيت عليهم السلام بالموقع المتفرد والاستثنائي في العلم والورع والخُلُق والفضل والشرف والسمو والكمال والحسب والنسب وأهليتهم للإمامة والخلافة، كما نقلنا ذلك

مفصلاً في الجواب عن شبهة متقدمة، وإليك بعض تلك الشواهد:

١ـ قول أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل، ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام»[1]، وفضل أمير المؤمنين عليه السلام ودوره في الإسلام غني عن البيان فلا نطيل فيه الحديث.

٢ـ وأما فضل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ودورهما في الإسلام، ودفاعهما عن شريعة جدّهما صلى الله عليه وآله، وما قاما به من إصلاح في الأمة الإسلامية، ووقوفهما سداً منيعاً أمام كل المحاولات التي تستهدف النيل من الرسالة الإسلامية، لما يحملانه من خصائص، ومميزات وقد تواترت الروايات في علو شأنهما وسمو مقامهما، كل ذلك جعل لهما الدور الفاعل في التأثير البليغ في المسلمين، سواء على الصعيد الفكري، أو الاجتماعي، أو غيرهما، كل ذلك في زمن أصبحت الحياة الإسلامية فيه مسرحاً للخلافات، والجرائم والآثام، وأصبحت فيه الحكومة ملكاً عضوضاً يتوارثه بنو أمية فيما بينهم بالقهر والغلبة، وقد انبرى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام في ذلك الحين لمعالجة الواقع المرير، وقد جاء في مجامع أحاديث السنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٠٧.

في حق ابنه الحسن عليه السلام: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[١]، وقال صلى الله عليه وآله في حق ابنه الحسين عليه السلام: «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[٢].

ولذا قام الإمام الحسين عليه السلام ثائراً على الظلم آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مضحياً بنفسه وأهل بيته في سبيل إعلاء كلمة الحق، طالباً الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله عندما لاحظ الممارسات البعيدة عن روح الدين والأخلاق من قبل الحكومة آنذاك، حينما اتخذت الإسلام ستاراً لتغطية جرائمها وممارساتها المتهتكة، ولذا قال عليه السلام عندما خرج متوجها إلى الكوفة: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٣]، وقد قال الذهبي في مدحهما وبيان موقعهما القيادي في الأمة عليهما السلام: «فمولانا الإمام علي

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ص١٧٩ ح٢٧٠٤؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر: ص٢٩١، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً من الفريقين.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٣ ص٣٢ ج٢٢ ص٢٧٤؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٥٧٥؛ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص٥١٣؛ التاريخ الكبير، البخاري: ج٨ ص٤١٥؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٨ ص٢٢٤؛ وفي صحيح الجامع الصغير، الألباني: ج١ ص٦٠٢ ح٣١٤٦، قال عن الحديث بأنه: (حسن)؛ وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) مقتل الحسين، الخوارزمي: ص٢٧٣؛ الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٢١.

من الخلفاء الراشدين وابناه الحسن والحسين فسبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك»[١]، ولا نطيل الحديث في ذلك بعد أن ثبت أنهما عليهما السلام إمامان قاماً أو قعداً.

٣ـ قول مالك في الإمام زين العابدين: «سُمّي زين العابدين لكثرة عبادته»[٢].

٤ـ قول أبي حنيفة عندما سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد»[٣].

٥ـ قول الذهبي في ترجمته للإمام المهدي المنتظر عليه السلام: «ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه حي لا يموت حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

فوددنا ذلك ـ والله ـ

فمولانا علي: من الخلفاء الراشدين، وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله ﷺ، وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك.

وزين العابدين: كبير القدر، ومن سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠.

(٢) نور الأبصار، الشبلنجي: ص١٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٦ ص٢٥٧؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١ ص١٦٦.

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيّره المأمون ولي عهده لجلالته.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه.

وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله تعالى»[١].

الشاهد الخامس: الخلفاء لا يضرهم من خذلهم

إن من الملاحم التي نصّت عليها أحاديث الاثني عشر خليفة، هو حصول المعاداة والخذلان لأولئك الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، كالتعبير بأنهم «لا يضرهم من خذلهم»[٢]، «ولا تضرهم عداوة من عاداهم»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠، ١٢١.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦؛ تاريخ ابن كثير: ج٦ ص٢٨٧.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص٢٥٦؛ مجمع الزوائد: ج٥ ص١٩١؛ فتح الباري: ج١٣ ص١٨٢.

ولا يخفى أنه جرى على أهل البيت عليهم السلام ما لم يجر على غيرهم من خذلان ومعاداة، ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن والحسين عليهما السلام، ومن بعدهم العترة الطاهرة من أبناء الحسين عليه السلام، وقد تنبأ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً»(١).

وهذا شاهد آخر، يدعم كون الخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت عليهم السلام، حيث خذل أمير المؤمنين بعد أن عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالولاية أمام جموع الناس في واقعة الغدير وغيرها، وقد تنبأ أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك الخذلان عندما قال وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام: «هذا أمير البررة قاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله»(٢)، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله له: «إن الأمة ستغدر بك بعدي»(٣)، وكذا الإمام الحسن عليه السلام، حيث خذلته الأمة، حتى تمكن

---

(١) سنن ابن ماجه: ج٢ ص١٣٦٦ وقد قواه من طريق صاحب المستدرك؛ المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي: ج٧ ص٥٢٧؛ كتاب السنة: ص٦١٩ ح١٤٩٩؛ الدر المنثور: ج٦ ص٥٨؛ ميزان الاعتدال: ج٢ ص٤١٦ ذكرها بطرق مختلفة ومتعددة، ولم يضعّفها؛ سير أعلام النبلاء: ج٦ ص١٣١؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٣ ص٢٨٢.

(٢) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص١٢٩ قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»؛ تاريخ بغداد: ج٣ ص١٨١؛ تاريخ مدينة دمشق: ج١٥ ص٨٨.

(٣) المستدرك: ج٣ ص١٤٢، ١٤٣ قال: «صحيح»؛ البداية والنهاية: ج٦ ص٢٤٤؛ دلائل النبوة:

معاوية من السلطة، ودسّ إليه السّم فقتل شهيداً مظلوماً.

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام، فلا يخفى كيفية خذلان الأمة له ولأصحابه السبعين نفراً، حتى قتلوهم، وسبوا نساءهم وذراريهم، وحملوهم إلى طاغية عصره يزيد بن معاوية، وأمّا بقية الأئمة عليهم السلام فلا يخفى ما عانوه من جرّاء الظلم، والتضييق عليهم، وزجهم في السجون من قبل السلطات الحاكمة، فكانوا ما بين مسموم وسجين و.....

وعلى الرغم من كل المحاولات التي استهدفت طمس معالمهم، وإخفاء حقيقتهم ودورهم، إلاّ أنهم عليهم السلام مارسوا دورهم على أكمل وجه، وحافظوا على الخط الإسلامي الأصيل المتمثل بتربية أمة صالحة على العكس من الحكومات الظالمة آنذاك، التي اكتفت برفع شعار الإسلام؛ لتمرير مخططاتها وأهدافها.

الشاهد السادس: الخلفاء كلهم من بني هاشم

إن من الشواهد التي تكشف عن كون المقصود من الخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت عليهم السلام، هو أن بعض روايات الاثني عشر خليفة نصّت على أن الخلفاء الاثني عشر كلّهم من بني هاشم،

ج٦ ص٤٤٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٤٤٧ـ ٤٤٨؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٤ ص١٠٧.

حيث جاء عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعدي اثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم»[١].

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن لفظ «كلهم من بني هاشم» : إما أن يكون قد أُسقط من باقي الروايات، أو أنه خفي على الراوي جراء حصول الضجة واللغط في ذلك المجلس، الذي ذكر فيه الرسول الأكرم ﷺ هذا الحديث، كما خفي عليه لفظ «كلهم من قريش» فسأل من بجنبه، فأثبت له لفظ «كلهم من قريش» فقط، ولعلّ الشخص الذي أثبت له اللفظ لم يسمع قول النبي ﷺ: «كلهم من بني هاشم» فلم يثبته له، أو لأجل مآرب وغايات في صدور القوم، منعت من إثبات بقية الحديث لجابر، وهذا يعني أن لفظ «كلهم من قريش» لم يسمعها الراوي من لسان النبي ﷺ مباشرة، وهذا هو ما فهمه القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري، حيث قال: «وعن أبي داود من طريق الشعبي عن جابر بن سمرة: لايزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: فكبر الناس وضجّوا، فلعل هذا هو سبب خفاء الكلمة المذكورة على جابر»[٢].

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٢ ص٣١٥ ح٩٠٨.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني: ج١٥ ص٢١٢ ح٧٢٢٢.

ولذا نقول إن الرواية الواردة عن جابر عن رسول الله ﷺ هي بعض حديث، ويشهد على ذلك نفس الواقعة، وكيفية إثبات الحديث لجابر، حيث جاء فيه: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال فكبر الناس وضجوا فقال كلمة خفية، فقلت لأبي يا أبه ما قال؟ فقال أبي: إنه قال كلهم من قريش»[١].

وفي رواية أخرى بلفظ «صمّنيها الناس»[٢]، قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: «قوله: فقال كلمة صَمَّنيها الناس» هو بفتح الصاد وتشديد الميم المفتوحة، أي أصموني عنها، فلم أسمعها؛ لكثرة الكلام ووقع في بعض النسخ (صمّتنيها الناس) أي سكتوني عن السؤال عنها»[٣]، وجاء ذلك المعنى بألفاظ أخرى من قبيل: «فكبّر الناس وضجّوا»[٤]، «فضج الناس»[٥]، وفي لسان آخر «اثنا عشر كلهم، ثم لغط القوم، وتكلموا، فلم أفهم قوله بعد كلهم»[٦]، ومما يؤكد كون الرواية

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ج١٣ ص١٨١؛ انظر: سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٨٦ ح ٤٢٨٠.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠٣.

(٤) سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٨٦ ح ٤٢٨٠؛ مسند أحمد: ج٥ ص٩٨؛ تاريخ بغداد: ج٢ ص١٢٤ ج١٤ ص٣٩٦.

(٥) مسند أبي عوانة: ج٤ ص٣٦٩.

(٦) مسند أحمد: ج٥ ص٩٩؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦.

لم تنقل كاملة - بل سقطت منها الكلمة التي هي على خلاف أهداف وأهواء القوم- ما أخرجه القندوزي الحنفي عن جابر بن سمرة قال: «كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعته يقول: (بعدي اثنا عشر خليفة) ثم أُخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: (كلهم من بني هاشم)، وعن سماك بن حرب مثله»[1]، ومن ذلك يتضح أن كلمة «كلهم من بني هاشم» كانت موجودة في الحديث، ولعل الرسول ﷺ قال: «كلهم من قريش من بني هاشم»، وهذا ما استشعره بعض علماء السنة كابن الجوزي، حيث قال في «كشف المشكل»: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث، وتطلبت مظانه، وسألت عنه، فلم أقع على المقصود به؛ لأن ألفاظه مختلفة، ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة»[2]، ويدعم هذا القول ما ذهب إليه ابن العربي، بعد عجزه عن تفسير حديث الاثني عشر، تفسيراً واقعيا، قال: «ولعلّه بعض حديث»[3]، مما يؤكد سقوط كلمة «كلهم من بني هاشم» من الحديث.

الشاهد السابع: الاثني عشر خليفة أمان لأهل الأرض

إن الاثني عشر خليفة أمان لأهل الأرض، إذا ذهبوا ماجت

(١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص٣١٥ ح٩٠٨.
(٢) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٣.
(٣) شرح صحيح الترمذي: ج٩ ص٦٨.

الأرض بأهلها، وإذا مضوا لا يبقى الدين قائماً، ويفقد المسلمون منعتهم وصلاحهم، وهذه المعاني التي جاءت في حديث الاثني عشر تلتقي وتتلائم تمام الملائمة مع الروايات التي نقلها الفريقان بحق أهل البيت عن رسول الله ﷺ كقوله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[1].

الشاهد الثامن: الخلفاء كلهم يعمل بالهدى ودين الحق

لقد افترضت نصوص الاثني عشر أن أولئك الخلفاء «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»، كما فهم هذا المعنى أيضا ابن كثير في تفسيره عندما قال: «ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق، ويعدل فيهم»[2]، ولا يجد المتتبع تفسيراً واحداً من التفاسير لهذا الحديث، يجمع فيه اثني عشر خليفة كلّهم يعمل بالهدى ودين الحق، خصوصاً مع ما ذكرناه من وجوب كون أولئك الخلفاء سلسلة متكاملة، ومتناسقة ومتوالية زماناً، وهذا ما يثبت لنا عدم مصداقية أي تطبيق واقعي للحديث،

---

(١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧؛ انظر: المستدرك: الحاكم: ج٢ ص٤٤٨ ؛ قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٤٠ ص٢٠؛ النزاع والتخاصم: المقريزي: ص١٣٢؛ وغيرها.

(٢) تفسير ابن كثير: ج٢ ص٣٤.

سوى أهل البيت عليهم السلام، الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله هداة مهديين من بعده، وأمر بالتمسك بهديهم، وجعلهم عدلاً للقرآن الكريم لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض.

الشاهد التاسع: قيمومة الخلفاء على الدين

إن من الخصائص المهمة التي تضمنتها أحاديث الاثني عشر قيموميّة أولئك الخلفاء على الدين والأمة «اثنا عشر قيماً»، ولاشك أن القيموميّة تستدعي الرقابة والوصاية على الدين، وعلى الأمّة الإسلامية، وهذا المعنى لم يُدّع لأحد، ولا ادّعاه غير أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو مقتضى كونهم عدلاً للقرآن الكريم، وأيضاً مقتضى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون**»[(١)].

الشاهد العاشر: الضجة المفتعلة

إنّ الصخب، واللغط، والضجّة المفتعلة، وقيام القوم وقعودهم، وتصميتهم لجابر والحاضرين يثير الانتباه، ويستدعي الريب،

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ٢٣١.

ويكشف أن في الأمر شيئاً، لا يريد القوم وصوله إلى مسامع الحاضرين، ولم تكن هذه الحادثة فريدة نوعها، بل فعل ذلك القوم أيضا عندما ضجّوا، وتنازعوا عند رسول الله ﷺ حينما قال: «ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً»، فوقعت حينها الضجّة المفتعلة، حتى قال بعضهم: إن النبي ليهجر، وليس ذلك إلاّ للحرص على الخلافة، وطمعاً بالملك والسلطان والإمارة. وهو الذي قد أخبر عنه رسول الله ﷺ عند مخاطبته لأصحابه بقوله: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة»[1].

الشاهد الحادي عشر: سؤال الصحابة عن الخلفاء

إن حديث ابن مسعود المتقدم، يكشف عن أن الصحابة هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الخلفاء من بعده وهذا يلفت النظر إلى نقطتين:

الأولى: أنه ليس من المنطقي أن يسأل الصحابة رسول الله ﷺ عن الأمراء الذين يتسلّطون على رقاب الناس بالقهر والغلبة، وهو ذلك الرسول العظيم الذي ختم الرسالات فلا نبي بعده.

---

(١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٣٥٥ ح ٧١٤٨؛ صحيح ابن حبان: ج ١٠ ص ٣٣٤؛ وغيرهما من المصادر الكثيرة.

إذن لابد أن يكون السؤال عن الخلفاء الذين نصبهم رسول الله ﷺ من بعده، وهم أهل بيته عليهم السلام بنص حديث الغدير وحديث الثقلين وغيرهما، وهذا ديدن وطريقة اعتادها الصحابة آنذلك، فقد سألوا أبا بكر وعمر عن الذي يلي الأمر من بعدهما.

الثانية: أن النبي ﷺ أراد من الإمرة والخلافة من يكون مؤهلاً ومستحقاً لها، فلا معنى لحمل الحديث على أمثال معاوية ويزيد ومروان والوليد وأمثالهم، الذين عاثوا في الأرض فساداً، ولعبوا بمقدرات الأمة الإسلامية بما شاءوا ورغبوا، فالمراد من الخليفة هو من يستمد سلطته من الشارع الأقدس، ومن أجل ذلك ذكر شارح سنن أبي داود في شرحه (عون المعبود) أن: «السبيل في هذا الحديث، وما يتعقبه في هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم، فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة»[1].

الشاهد الثاني عشر: تعيين الخليفة الأول في واقعة الغدير

بعد أن صدع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بذكر الخلفاء من بعده، وأنهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش ومن بني هاشم، وكلهم يعمل بالهدى ودين الحق، لم يكتف بذلك ـ ولعله لما

---

(١) عون المعبود، العظيم آبادي: ج١١ ص٢٤٥.

حصل من الضجة واللغط المفتعل ـ بل قام خطيباً، بعد رجوعه من حجة الوداع في طريقه إلى المدينة في غدير خم، ونصب علياً خليفة من بعده، فعين أول خليفة من الخلفاء الاثني عشر، وبادر بعد ذلك قائلاً: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1]، حينها عرف الناس من هم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ فأتم بذلك الحجة على الخلق، لكي يسدّ بذلك منافذ الريب والتشكيك، ولئلا يقول أحد: إني لم أسمع، أو خفي علي، أو صمّنيها أو صمّتنيها الناس!!.

الشاهد الثالث عشر: النص على أسماء الخلفاء

ما ورد من الأحاديث المتضافرة التي نصّت على إمامة أهل البيت عليهم السلام والتي تناولت الأئمة الاثني عشر بذكر أسمائهم على نحو التفصيل، وهي كثيرة جداً نكتفي بذكر بعضها:

١- ما جاء في فرائد السمطين للحمويني المصري[2]: «عن

(١) المصنف، أبي شيبة الكوفي: ج٦ ص٣٠٩، كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم: ص٣٣٧ ح٧٥٤ ص٦٢٩ ح١٥٤٩؛ مسند أحمد: ج٥ ص١٨٢؛ المعجم الكبير: ج٥ ص١٥٣ ح٤٩٢١ ص١٥٤ ح٤٩٢٢؛ مجمع الزوائد: ج١ ص ١٧٠ قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله ثقات)، وكذا في ج٩ ص١٦٢ وقال في ص١٦٣: «رواه أحمد وإسناده جيد»؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٤٠٢ ح٢٦٣١؛ الدر المنثور: ج٢ ص٢٨٥.

(٢) أطرى عليه الذهبي ت/ ٧٤٨ هـ في تذكرة الحفاظ قال: الإمام المحدث الأوحد الأكمل

مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له: نعثل، فقال: يا محمد إني أسألك عن أشياء - إلى أن قال -: فأخبرني عن وصيك من هو؟، فما من نبي إلاّ وله وصي، وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: نعم، إنّ وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده سبطاي: الحسن ثم الحسين، يتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، قال: يا محمد فسمهم لي؟

قال: نعم، إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، ثم ابنه علي، ثم ابنه الحسن، ثم الحجة ابن الحسن أئمة عدد نقباء بني اسرائيل، فهذه اثنا عشر»[1].

٢- ونقل الحمويني أيضاً في فرائده: عن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي... ولكن أوصيائي منهم: أولهم أخي، ووزيري،

فخر الإسلام صدر الدين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني شيخ الصوفية.. كان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء، حسن القراءة مليح الشكل مهيباً ديناً صالحاً. مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة. تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج٤ ص١٥٠٦.

(١) فرائد السمطين، الحمويني: ج٢ ص١٣٣ ص١٣٤ ح٤٣١، وبنفس الألفاظ ما جاء في ينابيع المودة للقندوزي، ج٣ ص٢٨٢.

ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، هو أوّلهم ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم التسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد حتى يردوا عليّ الحوض..»[١] - وهكذا ينقل الحمويني ذلك في مواطن عديدة، وروايات عديدة وبطرق مختلفة فراجع.

٣- الحافظ أبو محمد بن أبي الفوارس في كتابه (الأربعين)[٢].

كذلك أخرج ذكر الخلفاء من أهل بيت النبيﷺ بأسمائهم.

٤- العلامة أبو مؤيد موفق بن أحمد المتوفى (سنة ٥٦٨) في كتابه (مقتل الحسين): ذكر الخلفاء أيضاً بأسمائهم المتقدمة[٣].

٥- العلامة فاضل الدين محمد بن محمد بن إسحاق الحمويني الخراساني في (منهاج الفاضلين)[٤].

٦- كذلك الحمويني في (درر السمطين)[٥].

٧- العلامة الشيخ إبراهيم بن سليمان في كتاب (المحجة على

---

(١) فرائد السمطين، الحمويني، السمط الأول: ج١ ص٣١٥ ـ ٣١٨ ح ٢٥٠.

(٢) شرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ج١٣ ص٥٩؛ نقلاً عن كتاب الأربعين، ابن أبي الفوارس: ص٣٨.

(٣) مقتل الحسين، الخوارزمي: ص١٤٦-١٤٧.

(٤) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج١٣ ص٦٨؛ نقلاً عن كتاب منهاج الفاضلين، الحمويني: ص٢٣٩.

(٥) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي: ج٤ ص٩٣- ٩٤؛ نقلاً عن كتاب درر السمطين، الحمويني: ص٧٢٢.

ما في ينابيع المودة)[1] أيضا ذكرهم بأسمائهم عن رسول الله ﷺ.

٨- العلامة المولى محمد صالح الكشفي الحنفي الترمذي، في كتابه (المناقب الرضوية)[2].

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي تؤكد هذا المعنى.

وعلى ضوء ما سلف يتحصل: أن العترة الطاهرة يمثلون امتداداً طبيعياً لحركة الرسول الأكرم ﷺ في جميع أبعاد الحياة، وقد فرضوا شخصيتهم رغم أنف الأعداء، وقد أجمعت الأمة على أعلميتهم وأهليتهم للخلافة، وأنهم الأسوة الحسنة، ويعد ذلك من أفضل الأدلة لإثبات أحقيتهم، وأهليتهم للإمامة والقيادة، وعصمتهم، لأنهم عليهم السلام جسدوا النظرية الإسلامية على الواقع العملي، فعندما نرصد حياة الأئمة عليهم السلام، و كيف كانوا إسلاماً متحركاً على الأرض، وقرآناً ناطقاً يعيش بين الناس، نستنتج مباشرة أن هذا المستوى الرفيع من الأسوة والقدوة لا يمكن أن تعكسه إلاّ شخصيات معصومة، استجمعت فيها الصفات التي تؤهلها لأن تكون منبع الهداية للبشرية، لذا أجمعت الأمة على أن هؤلاء العترة لهم من الخصائص والمميزات ما لم

(١) المحجة على ما في ينابيع المودة، الشيخ هاشم بن سليمان: ص٤٢٧.

(٢) المناقب المرتضوية، محمد صالح الترمذي: ص١٢٧.

تكن لغيرهم، رغم ما عانوه من ظلم واضطهاد، فهم الذين تنطبق عليهم خصوصيات الاثني عشر، التي بينها النبي ﷺ في أحاديث الأثني عشر المتقدمة، ولكن أصحاب المطامع آلوا على أنفسهم إلاّ أن يُقصوا وينحّوا أهل البيت عليهم السلام عن مناصبهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ولم يكتفوا بذلك بل تمادوا في تعريض أهل البيت عليهم السلام لألوان الظلم والاضطهاد، والمعاملة السيئة الفظة الغليظة، التي يندى لها الجبين، وتعتصر منها القلوب ألماً ومرارة، ولم يكن لهم ذنب سوى أنهم كانوا الامتداد الإلهي لخط الرسالة، وكانوا أمناءها، والرقباء عليها، فهم الثقل الموازي للقرآن الكريم.

إذن، ينبغي علينا كمسلمين أن نستنير بنور هؤلاء الهداة الميامين، ونكون بذلك ممتثلين لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

بقاء الإسلام عزيزا بالخلفاء الاثني عشر:

ومما تقدّم اتضحت الإجابة على ما قد يقال:

من أن وصف عزة الإسلام بأولئك الخلفاء الاثني عشر لا ينطبق على أئمة الشيعة، حيث إن الموقع السامي والريادي والمكانة العظيمة التي يمتلكها أهل البيت عليهم السلام في نفوس الأمة

الإسلامية هي التي حفظت للإسلام عزّته، وهذا ما أكّده علماء السنة في أغلب كتبهم، وبالإضافة إلى ذلك نقول:

إن عزة الإسلام وصلاحه وبقائه إلى قيام الساعة، من المهام، والوظائف الأساسية، التي أناط رسول الله ﷺ مسؤوليتها، وتحقيقها بأهل البيت عليهم السلام، كما يكشف عن ذلك حديث الثقلين وحديث الغدير، وأنهم عدل القرآن، وأنّ النجاة والأمان والعزّة عند الله لا تنال إلا بالاعتصام والتمسك بهم، ومن يتبعهم يكون عزيزاً بعزّة الله، مرضياً عنده تعالى.

كما أخرج ذلك الحاكم في مستدركه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[1]، ثم علّق عليه قائلاً: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وبنفس المضمون ما ورد في عدّة كثيرة من المصادر عن عمر: أن النبي ﷺ قال: «في كل خلوف من أمتي عدول أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن

---

(١) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص١٤٩.

أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون»[١].

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلماً، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[٢].

وعن عمار بن ياسر، قال رسول الله ﷺ: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله عزّ وجلّ، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله تعالى، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني بإسنادين أحسب فيهما جماعة ضعفاء، وقد وثقوا»[٣].

وقد أخرجها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بطرق كثيرة[٤].

---

(١) ذخائر العقبى، محي الدين الطبري: ص١٧؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣٥٢؛ رشفة الصادي، أبو بكر الحضرمي: ص١٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١١٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص٢٤٠؛ حلية الأولياء، الحافظ أبي نعيم الأصفهاني: ج١ ص٨٦

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٠٨، ١٠٩.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص٢٣٩ وما بعدها.

وعن وهب بن حمزة قال: «صحبت علياً إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره، فقلت لأن رجعت لأشكونّك إلى رسول الله ﷺ، فلما قدمت لقيت رسول الله ﷺ فقلت: رأيت من علي كذا وكذا، فقال: لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي»[1].

وعن زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ: «من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فإن ربي عز وجل غرس قصباتها بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدي ولن يدخلكم في ضلالة»[2]، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3].

إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة، والروايات المتواترة معنى ومضموناً، مع صحتها وصراحتها، وأدنى ما نجيب عمّن أراد التشكيك بها: أنها تفيد القطع واليقين؛ لتعدد ألفظها، وكثرة طرقها، والمصادر التي نقلتها، فهي أحاديث نبوية يقوي بعضها بعضاً لإثبات مضمونها بالقطع واليقين، وهو وجوب التمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام وإتّباع هديهم.

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢٢ ص١٣٥؛ مجمع الزوائد: ج٩ ص١٠٩؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٤ ص٤٧٠ـ ٤٧١.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص١٩٤.

(٣) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص١٣٠.

إذن بأهل البيت عليهم السلام وباتباعهم تتحقق عزة الإسلام والحفاظ على وجوده الحقيقي وقيمه ومبادئه الأصيلة، من التقوى والإخلاص والاستقامة والصلاح وغيرها من المعارف الروحية والقيم الأخلاقية، وليست عزّة الإسلام بالتظاهر بالإسلام، واتخاذه شعاراً للتسلط على رقاب الناس بالقهر والغلبة، ومن هنا نجد أن الحكم الإسلامي على يد الظلمة تحول إلى ما كان عليه قبل الإسلام من كونه ملكاً عضوضاً لا يحمل من قيم الإسلام شيئاً.

إذن عزة الإسلام لا تتحقق إلاّ في حفظ الإسلام الحقيقي، الذي لا يتحقق إلاّ باتباع أهل البيت عليهم السلام.

الأمة لم تجتمع على أهل البيت عليهم السلام:

وأما عبارة «كلّهم تجتمع عليه الأمة»، وأن أهل البيت عليهم السلام ما أجتمعت عليهم الأمة.

فجوابها:

١- إن رواية الاثني عشر خليفة المتضمنة لعبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» لم ترد في الكتب الحديثية، والمصادر السنية، إلاّ في سنن أبي داود ومسند البزار، ولم يخرجاها إلاّ بسند واحد ضعيف، كما ذكر ذلك الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة،

حيث قال: «وأخرجه أبو داود (٢/٢٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبيه، عن جابر بلفظ: لا يزال هذا الدين قائماً، حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة، كلّهم من قريش، وأخرجه البزار «١٥٨٤ ـ كشف» عن أبي جحيفة نحوه، وهذا سند ضعيف، رجاله كلهم ثقات، غير أبي خالد هذا، وهو الأحمسي...، وقد تفرد بهذه الجملة «كلهم تجتمع عليه الأمة»، فهي منكرة»[1]، والتضعيف ذاته ذكره أيضاً في تعليقته على سنن أبي داود، حيث قال بعد أن أورد الحديث: «صحيح: دون قوله (تجتمع عليه الأمة)»[2].

٢ - من الشواهد التي تؤكد عدم صحة صدور هذه العبارة من النبي ﷺ هو عدم انطباقها على الواقع أصلاً، حيث لم نجد شخصاً اجتمعت عليه الأمة بعد رسول الله ﷺ، بل البعض ممن ادعى كونه من الخلفاء الاثني عشر، لم يجتمع عليه أغلب الأمة، فضلاً عن جميعها.

ولذا قال ابن كثير في البداية والنهاية: «فإن قال: أنا لا اعتبر إلاّ من اجتمعت الأمة عليه، لزمه على هذا القول أن لا يعد علي بن أبي طالب عليه السلام ولا ابنه؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما؛ وذلك أن أهل الشام

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: مج١ ، ق٢، ص ٧٢٠ ح٣٧٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود الألباني: ج٣ ص١٩ ح٤٢٧٩.

بكمالهم لم يبايعوهما...، ولم يقيد بأيام مروان، ولا ابن الزبير كأنّ الأمّة لم تجتمع على واحد منهما»[١].

وهذا ما اعترف به ابن حجر العسقلاني أيضا في فتح الباري[٢].

٣ـ إن أكثر من أُدعي اجتماع الأمة عليه، كيزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، والوليد، ومروان الحمار، وغيرهم لم يكن متوفراً على خصائص الخلفاء الاثني عشر، من كونهم يعملون بالهدى ودين الحق، وأنهم قيمّون على الدين، والدين قائم بهم، وغير ذلك من الصفات السامية، التي تقدم ذكر بعضها.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٦ ص ٢٨٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٢.

الخلاصة

١- إنّ حديث الاثني عشر حقيقة صادرة عن رسول الله ﷺ، وقد تواترت الروايات من الفريقين بنقلها بألسن مختلفة، كلها تشير إلى مضمون واحد، ومن هذه الروايات قوله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً»[1].

٢- إنّ أهل السنة لم يتمكنوا أن يقدموا تفسيراً واقعياً لحقيقة الاثني عشر خليفة، وإن تفسيراتهم المضطربة والمتناقضة فيما بينها خير شاهد على عجزهم عن فهمها وتفسيرها، على الرغم مما ارتكبوه من تكلف ظاهر على حدّ تعبير بعضهم، لا سيما وأن البعض[2] قد أوكل تفسير حديث الاثني عشر إلى الله تعالى بعد أن عجز عن تفسيره تفسيراً صحيحاً.

٣- إنّ الخصائص والمميزات التي تحملها أحاديث الاثني عشر، لا تنطبق في الواقع الخارجي إلاّ على أهل البيت عليهم السلام، فمثل صفة «صلاح أمر الأمة والناس بهم» و «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»

---

(١) مسند أحمد: ج٥ ص٩٧ ص ١٠٧؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص٦١٨؛ انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٥ ص ١٩٠ وقد صححه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠٣.

و«إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» ونحوها لا تنسجم ولا تنطبق إلاّ على عترة أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عما يحمله أهل البيت عليهم السلام من خصائص ومميزات استثنائية، وما يحملونه من مؤهلات علمية وعملية بإجماع أهل العلم، وعلى جميع المستويات الفكرية والروحية ونحوها، كل هذا يؤكد ويدعم كون حديث الاثني عشر لا يمكن انطباقه إلاّ على أهل البيت عليهم السلام.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد القسطلاني، نشر دار الفكر ـ بيروت، طبعة عام ١٤٢١هـ

٢. أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، نشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

٣. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط١ ، ١٤٠٨ .

٤. الفتوح، ابن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الأضواء ـ بيروت ، ط ٢٠٠٢م.

٥. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد إبراهيم، نشر: دار الكتاب العربي، ط٢ ، ١٤٢٠هـ

٦. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، نشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ قم.

٧. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى: عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٧هـ

٨. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر ـ بيروت، طبعة عام ١٤١٥هـ
٩. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠. تذكرة الحفاظ، الذهبي، نشر: مكتبة الحرم المكي.
١١. تطهير الجنان واللسان، ابن حجر الهيتمي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ
١٢. تفسير ابن كثير، ابن كثير، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، طبعة عام ١٤١٢هـ
١٣. تفسير الفخر الرازي، الرازي، نشر: دار الفكر ـ بيروت، طبعة عام ١٤١٥هـ
١٤. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠١هـ
١٥. الحد الفاصل، الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، نشر: دار الفكر ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ
١٦. حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ

١٧. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر ـ بيروت، طبعة عام ١٤١٤هـ

١٨. دفع شبهة التشبيه، ابن الجوزي، تحقيق: حسن السقاف، نشر: مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ

١٩. دلائل النبوة، أبي بكر أحمد البيهقي، نشر: المكتب الإسلامي ، ط٢ ـ ١٤٢٣هـ

٢٠. ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، نشر: مكتبة القدس لحسام الدين المقدس، طبعة عام ١٣٥٦هـ.

٢١. رشفة الصادي، أبو بكر الحضرمي.

٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، نشر: مكتبة المعارف، طبعة عام ١٤١٥هـ

٢٣. مسند أبي داود الطيالسي، الطيالسي، نشر: دار الحديث ـ بيروت.

٢٤. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر ـ بيروت .

٢٥. سنن أبي داود السجستاني، السجستاني، نشر: دار

الفكر ـ بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠هـ

٢٦. سنن البيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي، نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٢٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر: دار الفكر ـ بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ

٢٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٩ ، ١٤١٣هـ

٢٩. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي، نشر: مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

٣٠. شرح السنة، البغوي، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢ ، ١٤٢٤هـ

٣١. شرح صحيح الترمذي، ابن العربي.

٣٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٣. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق: محمد باقر المحمودي، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ

إيران، ط١ ، ١٤١١هـ

٣٤. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ ، ١٤١٤هـ

٣٥. صحيح البخاري، البخاري، نشر: مكتبة الإيمان المنصورة، طبعة عام ١٤١٩هـ

٣٦. صحيح سنن أبي داود السجستاني، الألباني، نشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط٢ ، ١٤٢١هـ

٣٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، نشر: دار الفكر - بيروت، ط١ ، ١٤١٩هـ

٣٨. صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢ ، ١٤٠٧هـ

٣٩. الصواعق المحرقة، ابن حجر، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ

٤٠. عون المعبود، محمد عظيم آبادي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥.

٤١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر

العسقلاني، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، ط ٢.

٤٢. فرائد السمطين، الحمويني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر: مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ

٤٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، ١٤١٥.

٤٤. الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط٣، ١٣٨٨هـ

٤٥. كتاب السنة، عمر ابن أبي عاصم الضحاك، نشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط٣، ١٤١٣.

٤٦. كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، تصحيح وفهرسة: صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٤٧. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، نشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ

٤٨. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، نشر: دار الكتب

العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٠٨.

٤٩. المحجة على ما في ينابيع المودة، الشيخ هاشم بن سليمان.

٥٠. مختصر الإتحاف، الإمام شهاب الدين البوصيري، تحقيق: سيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، ١٤١٧.

٥١. المستدرك، الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف المرعشلي، نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٥٢. مسند أبي عوانه، الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرئيني، نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٥٣. مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي، تحقيق: أحمد سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث.

٥٤. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، نشر: دار صادر ـ بيروت.

٥٥. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، نشر: المكتب الإسلامي، ط٣ ـ ١٤٠٥.

٥٦. المصنف في الأحاديث والآثار، أبي شيبة الكوفي،

تحقيق: كمال يوسف حوت، نشر: مكتبة الرشيد ـ الرياض، ط ١.
٥٧. المطالب العالية، ابن حجر العسقلاني، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، ١٤٢٠.
٥٨. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين.
٥٩. المعجم الصغير، الطبراني، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٠. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط ٢.
٦١. المعيار والموازنة، أبو جعفر الأسكافي، تحقيق: محمد باقر المحمودي.
٦٢. المناقب المرتضوية، محمد صالح الترمذي.
٦٣. المناقب، الموفق الخوارزمي، تحقيق: مالك المحمودي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي جامعة مدرسين ـ قم، ط ٢، ١٤١١.
٦٤. ميزان الإعتدال، الذهبي، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، ط ١،

١٣٨٢هـ

٦٥. النـزاع والتخاصـم، تقـي الـدين أحمـد بـن علـي المقريزي، تحقيق: السيد علي عاشور.

٦٦. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن الشبلنجي، نشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦.

٦٧. ينابيع المودة، سليمان القندوزي، تحقيق: سـيد علـي جمال أشرف الحسيني، نشر دار أسوة، ط١، ١٤١٦.

٦٨. مقتل الحسين، الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، نشر: أنوار الهدى ـ قم، ط١، ١٤١٨.

فهرست الموضوعات